٤

اين وُلد القديس مارون ؟ هذه مسألة كان في وسع توادوريطوس كاتب ترجمة هذا القديس ان يجاوب عليها جوابًا شافيًا غير انهُ لسوء الحظ لم يذكر عنها شيئًا في الكلام الوجيز الذي تركهُ ولهذا وجب علينا ان نسعى بالافصاح عمَّا سكت عنهُ. على اننا لسنا باوَّل من سعى وراء هذا الامر فان حضرة الخوري ميخائيل غبريل يقول في كتابه تاريخ الكنيسة المارونيَّة (ص ٨٤) ما نصهُ: « ان القديس مارون ولد... في بلدة تدعى مارونيا البعيدة نحو ثلاثين ميلًا عن انطاكية في جوار مدينة قورش »

(ستأتي البقيَّة)

خواطر

في بعض بلاد الشام القديمة

للاب هنري لامنس اليسوعي

نشر جناب الاديب امين ظاهر افندي خير الله في المقتطف عدَّة مقالات تحت هذا العنوان « منزلة الشعر من التاريخ » والحقّ يقال ان مثل هذه الابحاث تكشف القناع عن احوال بلادنا السابقة وتبعث الهمم على درس فحول الشعراء الاقدمين

ومع ما نجد في هذه المقالات من الفائدة والجدوى قد لقينا في بعض اقوال المؤلف ما يستدعي النظر والانتقاد ونكتفي اليوم بايراد بعض الملاحظات خطرت لنا في اثناء مطالعتنا للصفحتين ٢١٠ و ٢١١ من عدد آذار من السنة الحاليَّة

١ ذكر جناب الكاتب (ص ٢١٠) بيت عمرو بن كلثوم التغلبيّ:

ألا هُبّي بصحنكِ فاصبحينا ولا تُبقي خمور الاندرينا

ثمَّ الحقهُ بهذا التفسير: « وأندرين لم تزل آهلة حتى الآن وموقعها في لواء مرعش من ولاية حلب وهي الآن قصبة قضاء باسمها »

(قلنا) اننا نعرف قضاء يُدعى اليوم بقضاء اندرين لكنَّ القصبة التي اشار اليها

جناب الكاتب مجهولة اليوم لا تُعرف ليس فقط في لواء مرعش بل في ولاية حلب كلها. وقد بحثنا عن اندرين هذه في سالنامة ولاية حلب المطبوعة سنة ١٣١٩ هـ فلم نجد لها ذكرًا في القضاء المدعوّ باسمها (ص ٣٧٨). امّا ڤيتال كوينه فقد ذهب في كتابهِ الشهير عن تركيّة اسيًا الى انّ قصبة قضاء اندرين انّما هي كبان. وعلى كلّ حال لا نظنّ انّ موقع اندرين التي ذكرها عمرو بن كلثوم راقيةٌ الى هـذا الحدّ من الشمال لبُعدها عن بلاد العرب بل عن تخوم سوريّة وان قيل انّها داخلة في حدود ولاية حلب اجبنا ان موقعها الجغرافيّ غير موقعها السياسي. فلو كانت اندرين هـذه واقعةً حيث جعلها امين افندي خير الله لكانت في حيّز بلاد الاناضول شمالي جبل طورس الذي يعتبرهُ كل الجغرافيين كاحد حدود سوريّة ولو وُجدت هناك بلدة بهذا الاسم لما ضرب جغرافيُّو العرب صفحًا عنها

وقد ذكر قدماء كتبة العرب بلدةً بهذا الاسم نظنُّها هي التي قصدها الشاعر. ولنا على ذلك شاهد صادق في معجم البلدان (١ : ٣٧٣) لياقوت الروميّ قال:

« اندرَين اسم قرية في جنوبيّ حلب بينهما مسيرة يوم للراكب في اطراف البريّة ليس بعدها عمارة وهي الآن خراب ليس بها الّا بقيّة الجدران وايّاها عنى عمرو بن كلثوم بقولهِ: ألا هبّي (البيت). وهذا ما لا شكّ فيهِ وقد سألتُ عنهُ اهل المعرفة من اهل حلب فكل وافق عليهِ »

وقد نقل صاحب مراصد الاطلاع على مألوف عادتهِ مُجمل قول ياقوت فاثبتهُ. ولنا ما يؤيد قولها ويزيدهُ بيانًا. فمن ذلك انّ اخربة اندرين معروفة منذ زمن طويل وموقعها على مسافة نحو مئة كيلومتر (١ من حلب في جنوبها الشرقيّ. وكان الرومان يدعونها باسم اندرونة (Androna) وقد وُجدت فيها عدّة كتابات يونانيّة (٢ واطلال ابنية واسعة وكنائس عديدة وقلعة كبيرة (Καστρον) وموقع هذه المدينة في مكان جيّد التربة كثير الخصب الّا انهُ خراب. والظـاهر ان اندرين المذكورة كانت بلدة ذات شأن ولعلّها كانت كرسيًا اسقفيًا

ثم نعلم ايضًا انّ اندرين التي نحن في صددها لم تكن بعيدة عن منازل بني تغلب

---

١) وذلك اكثر ممّا ذكرهُ ياقوت بقولهِ انّما على مسيرة يوم للراكب

٢) راجع مجموع الكتابات اليونانيّة CIG 8228-8231 ثمّ مجموع وادنتون Waddington, 2637 ثم مجلّة الجمعية الفلسطينيّة الالمانيّة ZDPV, XXII, 133 *etc.* XXIII, 97.

في الشام اعني في الصحراء الشاميَّة الواقعة بين منبج والفرات ورصافة. فلا غرو انَّ التغلبيين عرفوها ومنها كانوا يسبثون الخمر

ويؤخذ من كتابة اكتشفها المسيو هرتمان (ZDPV,l.c.) انَّ اندرين كانت مأهولة عامرة سنة ٥٥٨ للمسيح اعني على عهد الشاعر عمرو بن كلثوم وليس من دليل على انها خربت بعدهُ بزمن قليل. والكتابة المذكورة تفيدنا بان اهلها كانوا يشيّدون بناية كبيرة في السنة المزبورة

٢ وفي الصفحة نفسها من المقتطف ورد ذكر بلدةٍ اخرى لا نوافق جناب امين افندي على تعيينهِ لموقعها. وهي « شِبام » المذكورة في بيت امرئ القيس:

انفٌ كلون دم الغزال مُعتَّق من خمر عانة او كروم شبامِ

فزعم انَّ « شِبام هو موضع بالشام »: قلنا انَّ شباماً علَم لعدَّة امكنة وهي كلها في جنوبيّ جزيرة العرب كما ورد في معجم البلدان لياقوت (٣: ٢٤٨—٢٥٠) وفي صفة جزيرة العرب للهمذاني (ص ٤٥,٥٧,٧٢,٨٦,٨٧,١٠٥ الخ)

٣ وليس تعريف موقع « وادي جدَر » الذي ورد ذكرهُ في بعض ابيات ابي ذؤيب ونقلهُ الافندي هكذا سهلاً. والبيت:

فما انْ رحيقٌ سبتها التجا رُ من اذرعات فَوادي جَدَرْ

قال الكاتب الفاضل (ص ٢١٠): « اذرعات هي قرية في حوران ووادي جدَر وهي موضع بالشام (١) » صدق بقولهِ انَّ اذرعات من قرى حوران واماَّ جعلهُ « وادي جدَر » في الشام فليس غايةً في الدقَّة. وقد ذكر ياقوت هذا البيت (٢: ٤٠) وقال انَّ « جدر قرية بالاردن » لكنَّهُ اورد بعد ذلك بيتاً للاخطل:

كأنّني شاربٌ يوم استبدَّ جم من قرقفٍ ضمنَتْها حمصُ او جدَرُ

فقال: هي (جدَر) قرية بين حمص وسَلمية تُنسب اليها الخمر. وقال في محلّ آخر عند ذكر دير اسحاق (٢: ٦٤٣) انَّ هذا الدير « بين حمص وسلمية في احسن موضع واترهِ وبقربهِ ضيعة كبيرة يقال لها جدر التي ذكرها الاخطل »

وقد راجعنا ما لدينا من الرسوم والكتب الحديثة في وصف البلدان فلم نجد محلاً

---

١) وهكذا قال شارح ديوان الاخطل (راجع طبعة الاب صالحاني ص ٩٨ السطر ٦)

يُعرف باسم جدَر ولا موضع دير اسحاق. وليس هذا سبباً للشكّ في عدم وجودهما حيث روى ياقوت بكل دقّة واشار الاخطل الى موقع جدَر بذكرها مع حمص. ومن ثمّ نرى أنْ تُميَّز « جَدَر » من « وادي جدر » فجدر هي القرية المذكورة في شعر الاخطل وموقعها بين حمص وسلمية امّا وادي جدر فهي قرية بالاردن كانت تُعرف في قديم العهد عند الروم واليونان باسم جدَرة (Gadara) وهي مُكَيْس الحاليّة القريبة من نهر الاردن الواقعة على طريق اربد الى طبريّة او الى الناصرة. ونذكر انّنا وجدنا لمّا مررنا هناك في بعض رحلنا كروماً واثار معاصر قديمة تشهد على انّ زراعة الكروم كانت شائعةً فيها سابقاً

٤ وقد روى امين افندي (ص٢١٠) بيتاً لامرئ القيس على هذه الصورة:

كأنّ التجار أصعدوا بسيئةٍ من الخصّ حتّى انزلوها على يُسرِ

(قلنا) انّنا نرى انّ الرواية الصحيحة لهذا البيت هي « الحُصّ » بالحاء المهملة لا « الخصّ » بالخاء المعجمة. وعلى رأينا انّ الحُصّ هذه هي التي ذكرها ياقوت في معجمه (٢: ٢٧٤) وقال انّها « موضع بنواحي حمص يُنسب اليه الخمر » ثم يروي بيتاً لابي محجن:

تُروي بخمر الحُصّ لحدي فانّني اسيرٌ لها من بعد ما قد اسوقُها

نعم انّنا نعلم ان الحاء والخاء رُبّما اختلطا في النسخ القديمة ولكن في شهادة ياقوت ما يزيل الشبهة اذ انّ حصًا موضع شهير بخمره وليس للخصّ ذكر في المعاجم وقد ذكر المسيو هرتمان (ZDPV,XXIII,76) انّ على مسافة ٣٠ كيلومترًا شماليّ اندرين بساتين « تُدعى بساتين الحَصّ » (كذا رواها بفتح الحاء) ويشير موقعها الى بلدة قديمة. الّا انّ هذا المكان لا يوافق القرية التي ذكرها ياقوت وقال أنها في جوار حمص. ولم نجد لها في غير كتابه ذكرًا

موارنة حلب الشهباء

لحضرة الكاتب الفاضل القس جرجس منش الماروني

تحت عنوان « الاديار القديمة في كسروان » نشر حضرة الاب الفاضل الخوري